الرافعي
والانتصار للعربية

الأستاذ الدكتور

محمد أبو المكارم قنديل

أستاذ اللغويات

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالمنصورة

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للناس أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، وبعد . .

فقد شاء الله أن يكون ظهور الأستاذ " مصطفى صادق الرافعى " على موعد مع التآمر الاستعمارى الحاقد على أمة الإسلام ، فقد هبت الأعاصير العاتية على هذه الأمة ، تحاول اقتلاعها من الوجود ، وضرب كل مقومات بقائها وصمودها من عقيدة ولغة وحضارة ، وجند أعداء الإسلام لهذه الغاية بعض المارقين والمنحرفين ممن تخبطت بهم هؤلاء ، وأضلهم الله على علم فضلوا وأضلوا ، وقد تصدى لهم الرافعى ، يسفه آراءهم ويكشف زيفهم ، ويحبط مؤامراتهم ، وكان الرافعى فى معاركه مع هؤلاء يرى أنه المسئول عن مواجهة هذا الخطر الداهم ، ودفع ذلك البلاء المحدق ، فنازل المتآمرين على مقدسات هذه الأمة دينها وقرآنها ولغتها ، حتى صرعهم وأجهز عليهم ، ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ .

لقد وقف الرافعى فى مواجهة المنحرفين والعملاء عملاقا تزاحم رأسه نجوم السماء ، بينما تحول خصومه من المنحرفين على الحق إلى أقزام تتوارى تحت الرغام .

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

لقد كان الرافعى واحدا من أولئك الأفذاذ الذين وقفوا حياتهم دفاعا عن الإسلام وحفاظا على القرآن ، ومقاومة الغزو الفكرى الشرس لذلك كان جديرا أن يقول عنه "يوسف حنا " : الرافعى هو المختار لحراسة لغة القرآن ، وقد رأينا الرجل يطارد الضلال ، ويتعقب فلوله المنهزمة ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يعرف هوادة أو مهادنة فى منازلة الباطل ومحق المبطلين ، لقد أصلاهم نارا مازال لهيبها إلى اليوم مستعرا يلفح الزنادقة والملحدين وأدعياء التجديد المشبوه الذين يواصلون الكفاح الشيطانى الخبيث المتمثل فى الدعوة إلى العامية حتى تنزوى الفصحى ويضرب الإسلام ذلك المارد المخيف الذى أقض مضاجع المنحرفين والمارقين ممن لا دين لهم ومن عبيد المادة من الشيوعيين .

ألا إن الإسلام سيبقى عزيزا وإن القرآن ستظل آياته تدوى فى سمع الزمان لتشفى صدور قوم مؤمنين ، ويشقى بها ومنها كل كفار أثيم ".

ألا إن القرآن والفصحى متلازمان ، والقرآن باق ما بقيت الأرض والسماء ، وستظل لغته غضة متجددة يتوارثها أبناء هذه الأمة ، ويحلو مذاقها على ألسنة الأجيال .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

الأستاذ الدكتور

محمد أبو المكارم قنديل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شاءت المقادير أن تضع الرافعى - رحمه الله - بين المناضلين عن الفكر الإسلامى ، والمنافحين عن العربية فى وقت اشتدت فيه الأزمات ، واضطربت الأفكار ، بين مستغرب لاهث خلف الغرب ، مبهور بحضارته المادية ، تابع له مترسم خطاه الثقافية والفكرية والاجتماعية ، وبين داع إلى الفرعونية ، متغن بحضارتها ، عامل فى جد على ذيوعها والتمكين لسلطانها .

فقد حدث فى أعقاب الثورة العرابية التي تآمر على وأدها الخديوى والاستعمار أن ظهر الإمام محمد عبده بعد عودته من المنفى مصلحا دينيا واجتماعيا وسياسيا وكان فى نضاله وكفاحه رمز مصر المؤمنة بحقها فى الحياة ، المتطلعة إلى الحرية والاستقلال .

والتف حول الإمام صفوة من تلاميذه ومريديه الذين حملوا فكره ، فحثوا الناس على العمل ، وغرسوا فى النفوس معنى الأمل ، وكان من أبرز هؤلاء وفى مقدمتهم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى الذى تشبع بفكر الإمام ووقف بين هذه التيارات وتلك الأعاصير راسخا كالطود ، ساطعا كالنجم يدعو إلى الإسلام وينافح عنه ، ويجلى مبادئه السمحة وقيمه النبيلة ، ويدافع عن العربية ويذود عن حياضها ، ويمكن لها فى القلوب والنفوس ، بكتاباته وأفكاره ، فى وقت سعى فيه المستعمر جادا للإجهاز على هذه اللغة حتى يتخطاها الزمان وتطوى فى زوايا النسيان ، وبذلك يحقق المستعمر ما يصبو إليه من إبعاد تلك الحضارة الأصيلة ، حضارة

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام ، التي كرمت الإنسان ، وعن طريقها كانت سيادة هذه الأمة ، وامتلاكها مصائر الأمم والشعوب فى شرق الدنيا وغربها ، لتقود الحياة إلى الاستقرار ، والبشرية إلى الأمن والسلام .

ولقد كان الرافعى كما قال عنه الأستاذ محمد سعيد العريان : " وكأنما اجتمع له وحده تراث الأجيال من هذه الأمة العربية المسلمة فعاش ما عاش ينبهها إلى حقائق وجودها ومقومات قوميتها على حين كانت تعيش هى فى ضلال وأوهام التجديد .

وما كان رحمه الله يرى فى ذلك إلا أن الله قد وضعه فى هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطة الدين والعربية ، لا ينال منها نائل إلا انبرى له ، ولا يقتحم عليه مقتحم إلا وقف فى وجهه كأنه فرض عين عليه هو ، وعلى سائر المسلمين فرض كفاية " .

اللغة وحقيقة الأمة :

وحقيقة الأمة هى الكائن الروحى المكتن فى الشعب ، وهذا الكائن الروحى هو الصورة الكبرى للنسب وهو يحقق للشعب قرابة الصفات بعضها من بعض ، فيجعل للأمة شأن الأسرة ، ويخلق فى الوطن معنى الدار ، ويرد المتعدد إلى طبيعة الوحدة ويبدع للامة شخصيتها المتميزة .

والخلق القوى الذى ينشئه للأمة كائنها الروحى هو المبادئ المتنزعة من أثر اللغة والدين والعادات ، وهو قانون نافذ يستمد قوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من نفسه ، لأنه يعمل فى حيز القاطن من وراء الشعور ، متسلطا على الفكر ، مصرفا لبواعث النفس [١] .

ثم يحدثنا عن اللغة وآثارها فى الأمة نفسيا وفكريا فيقول : " أما اللغة فهى صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهى قومية الفكر تتحد بها الأمة فى صور التفكير وأساليب اخذ المعنى من المادة " [٢] .

ويتابع الرافعى - رحمه الله - حديثه عن أثر التعمق فى اللغة وفقهها وحسن التأتى لها فيقول : والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى أهلها ، وعمقها عمق الروح ، والدليل الحسى على ميل الأمة إلى التفكير والبحث فى الأسباب والعلل ، وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فإن روح الاستعباد ضيق لا يتسع ودأبه لزوم الكلمة والكلمات القليلة .

وترى الأستاذ الرافعى - رحمه الله - هنا يدفع أبناء أمته إلى الحرية انسجاما مع ما تميزت به العربية من كثرة المشتقات التي تربى الفكر والنفس على الانطلاق والانعتاق من القيود ، والثورة على كل ألوان الحجر والاستعباد . ويرى أن الأمة إذا حرصت على لغتها ، ونهضت بها ، وأعلت شأنها ، كان ذلك دليلا على أن شعبها سيد أمره ، وانه آخذ بحقه ، مستعمل قوته ، محقق وجوده أما إذا تراخى وأهمل وفرط فى لغته بإصغار أمرها ، وتهوين

---

[١] انظر وحى القلم ٣٢/٣ .

[٢] السابق ٣٣/٣ .

خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والاعتزاز فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السعادة عاجز عن تحمل ما له من إرث تليد [1] .

والولاء للغتنا واجب ديني وقومي وحضاري ، وعلى الدين وبالحضارة تكون حياة الأمة في حاضرها وبقاؤها في مستقبلها ، وتميز شخصيتها حتى تظل في معترك الحياة قوية لا تزعزعها الأعاصير ، ولا ينال منها صراع الأمم الشعوب .

إن انحسار اللغة القومية وتأخرها عن مكان الصدارة ، وتقدم الدخيل من اللغات عليها محنة للأمة وابتلاء لأبنائها ، بل هو داء عضال لا يقع في شراكه إلا من فقد الكرامة وضربت عليه الذلة والمهانة ، وكما يقول الأستاذ الرافعي - رحمه الله - : " والشرق كله مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت كل مشاكله ، أو أكثرها ، وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على نفسها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعا إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية ، ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا لكان هذا وحده علاجا حاسما لأكثر مشاكلنا .

فاللغات تتنازع القومية ، ولهي والله احتلال عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها ، وإذا هانت اللغة القومية على أهلها أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم الذي انتقل إليه وأقام فيه . .

---

[1] السابق ص ٣٣ .

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

أما إذا قويت العصبية وعزت اللغة وصارت لها الحمية ، فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة يرتفق بها ، ويرجع شبر الأجنبي شبرا لا مترا ، وتكون تلك العصبية للغة القومية مادة وعونا لكل ما هو قومي ، فيصبح كل شئ أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة هي قوة الإيمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن ، ومتى تعين الأول أنه الأول فكل قوى الوجود لا تجعل الذى بعده شيئا إلا أنه الثاني " [1]

والأمة التي تذل لغتها تذل على نفسها ، ويهون أمرها ، وتكون أكثر هوانا على الناس ، وما انتهى أمر اللغة فى أمة إلى الانحطاط غلا كان مصير هذه الأمة فى مهب الرياح وصار وضعها فى ذهاب وإدبار لذلك نرى المستعمرين يفرضون لغتهم على الشعوب المستعبدة الذليلة ، وهم بذلك يحكمون عليها بأحكام ثلاثة فى عمل واحد ، كما يقول الأستاذ الرافعي " مبينا هذه الأحكام الثلاثة " :

" أما الأول : فحبس لغتهم فى لغته سجنا مؤبدا ، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا ، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم فى الأغلال التي يضعها فأمرهم من بعدها لأمره تبع " [2]

ولم ينس الأستاذ الرافعي - رحمه الله - أمر هؤلاء الذين يتعلقون بلغة الأجانب بل أماط اللثام عن حقيقتهم ، وعن الأخطار التي تحيق البلاد من ورائهم ، والذى نريد أن نؤكد عليه فى هذا

---

(١) انظر وحى القلم ٣٥/٣ .

(٢) السابق ٣٤/٣ .

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقام أن تعلم اللغات الأجنبية أمر نبه عليه الدين ، ودعت إليه الحضارة المعاصرة ، وأملته الضرورة للوقوف على ما أنجزته العقول والأفكار من علوم ومعارف وآداب ، بها يكون الرقي والتحضر ، وعن طريقها يتم ازدهار الثقافة وازدياد المعرفة ، ويتحقق التعارف والتآلف بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وبلدانهم ، مصداقا لقول الحق سبحانه : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ [1] .

وإذا كان تعلم اللغات مطلوبا ومرغوبا فيه فذلك مفروغ منه ، إلا أن هذه اللغات الأجنبية يجب أن تكون فى موضعها الصحيح من اللغة القومية ، فلغتنا يجب أن تحظى بالمكانة الأولى حبا وإعزازا وولاء ووفاء ، يحملنا على ذلك تأكيد الذات ، والحرص على ما لنا من تراث ، وتحقيق معنى الانتماء ، ولن يكون ذلك إلا من شعب اعتد بنفسه ، وأشرب فى قلبه حب دينه ولغته وقومه .

أما هؤلاء الذين ضعفت نفوسهم ، وفقدوا الأنفة والغيرة ولحمية فتعلقوا باللغات الأجنبية ونزعوا إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق ، فتراهم كما يقول الأستاذ الرافعى : " يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهية للغاتهم وآداب لغتهم ، وقومهم وأشياء قومهم ، ولا يستطيع وطنهم أن يوحى إليهم أسرار روحه إذ لا يوافق منهم استجابة فى الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره ، فيتجاوزنه وهم

---

[1] سورة الحجرات آية : ١٣ .

فيه ، ويرثون دماءهم من أهلهم ، ثم تكون العواقب في هذه الدماء للأجنبي ،ومن ثم تصبح عندهم قيمة الأشياء بمصدرها لا بنفسها " (١) .

وكل ما أتى به الأجنبى فى مذهب هؤلاء من رأى أو فكر أو لهو أو انحراف حسن ومقبول ، وما يظهر من إنتاج هذا الأجنبى مطلوب ومرغوب فيه عند هؤلاء ، وقد يكون الإنتاج الوطنى مثله أو يزيد عليه جودة مع مناسبته للبيئة والموارد الاقتصادية ومع ذلك فهو مغبون ومغضوب عليه ، وتلك ضربة قاصمة للأمة فى فكرها واقتصادها وولائها وانتمائها ، بل فى كل مقومات الحياة التي تبنى عليها الأمم والشعوب .

وقد يبلغ التعلق بالأجنبى مداه حينما نرى بعض ضعاف النفوس يغترون بالأشياء إذا بقيت حاملة أسماءها الأجنبية ، فإذا غيرت وسميت بلغتهم القومية فقدت بريقها وزال رواؤها وبهاؤها ، وما ذاك فى حقيقته إلا صغر هذه النفوس وذلتها " (٢) .

ويجرنا ذلك إلى أن نتلفت الأنظار إلى هذا الطيش المخبول والتردى فى التبعية الذى تمثل فى اللافتات التي تعلو واجهات الحوانيت والمؤسسات وهى تحمل الأسماء الأجنبية ، وقد شاع ذلك فى طول البلاد وعرضها ، حتى رأينا الدهماء يكتبون ويرددون كلمات وأسماء لا يفهمون لها معنى ، ولا يدركون لها مغزى .

---

(١) وحى القلم ٣٤/٣ .

(٢) السابق ٣٤/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما يجرى فى هذا المضمار ما دأب عليه بعض المستغلين أو المأجورين - لست أدرى - من صناعة بعض الحقائب وأدوات الاستعمال للأطفال ، وقد زينت بأعلام بعض الدول الأجنبية ، كما ظهر ذلك فى بعض الملابس وكلها من الإنتاج المحلى .

وأتساءل من الذى وراء هذا الاتجاه ؟ ومن هؤلاء الذين يوجهون هذا الانحراف المنظم لإفساد النشأ فى هذه الأمة ، إن هذا التخطيط كفيل بأن يقتل فى نفوس هذه الأجيال منذ الصغر معنى الولاء والانتماء .

ومما يجنى على لغة الأمة مزاحمة غيرها من اللغات لها فى الاستعمال كتابة أو حديثا ، لأنه بقدر الزيادة فى هذا الدخيل يكون البعد عن لغتنا القومية ، ويحدثنا الأستاذ الرافعى عن هذا الصنف من الناس الذى أترفته النعمة ، وفتنته المدنية ممن يتكلم العربية التي تلعنها العربية ، مرتفعا بها عن لغة الفصيح ارتفاعا منحطا ، نازلا بها عن لغة السوق نزولا عاليا ، فهو يرتضخ لكنة أعجمية تباينت ألفاظها ، وتخاصمت جملها ، وإنك لتراه يتناسى بعض الجمل العربية ، ليلوى لسانه بغيرها من اللغات ، لا تظرفا ولا تملحا ، ولا إظهارا لقدرة أو لعلم ، ولكن استجابة لشعور الأجنبى الخفى المتمكن فى نفسه ، المتسلط على حسه وشعوره ، فكأن وطنية عقله تأبى إلا أن تكذب وطنية لسانه ، وهو بإحداها زائف على قومه ، وبالأخرى زائف على غير قومه .

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

وكان من الواجب على مثل هذا ألا يتكلم فى بلاده إلا بلغته ، بل إن عليه أن يتعصب بها على كل لغة تزاحمها فى أرضها ، أو تنازعها السيادة على لسان أبنائها ، ولكن هذا وأمثاله كانوا مزاحمين بأنفسهم [١] .

والذين يصنعون هذا الصنيع ويلوون ألسنتهم بكلمات وتراكيب من غير العربية حينما يتحدثون فى نظر الأستاذ الرافعى طبقات ثلاث :

أما واحدة فإنهم يصنعون هذا منجذبين إلى اصل راسخ فى طباعهم من آثار الظلم والاستبداد فى زمن الحكم التركى ، وكأن التكلم باللغة الأجنبية علامة الحكم والسلطة ، واحتقار الشعب والاستعلاء عليه .

وأما طبقة فإنهم يتكلفون ذلك مما جبلوا عليه من النفاق والخضوع ، والذل السياسى فى عهد الإنجليز ، فاللغة الأجنبية تشريف واعتبار ، كأنهم بذلك صاروا من طبقة المحتلين المتسلطين

وأما جماعة فإنهم يتعمدون هذا يريدون به عيب العربية وتهجينها ، والزراية بها ، والانتقاص من شأنها ، عداوة لهذه اللغة ، وللدين الإسلامى الذى جعل هذه اللغة حكومة باقية فى بلادهم مع كل حكومة ، وفوق كل حكومة [٢] .

---

[١] وحى القلم ٢٩٧/٢ .

[٢] السابق ٢٩٧/٢ ، ٢٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لغة الصحافة :

والأستاذ الرافعى رأيه فى الصحافة فكرا وموضوعا ، وقد كانت فى عهده - إلى حد ما - اقرب إلى الصدق ، وأحفظ للغة ، واكثر التزاما بها من أدعياء الصحافة اليوم ، الذين شوهوا الحقائق ، وربوا الأجيال على الكذب والرياء والنفاق ، وجنوا على العربية لغة وأسلوبا وبيانا ، لنقص استعدادهم اللغوى والأدبى لأنهم من هؤلاء قوم دخلاء اندسوا فى الأوساط الصحافية زورا وبهتانا ، يظاهرهم فى الجناية على الصحافة والانحراف بها عن رسالتها ربائب الاستعمار وصنائعه ممن يلبسون ثيابنا ، ويسارعون فى هدمنا ، ويجدون فى تخريب الماضى لهذه الأمة ، وتقويض حاضرها ، حتى تخضع ذليلة مهيضة الجناح فى المستقبل تحت أقدام أعدائها المتربصين .

ورأى الأستاذ الرافعى فى صحافة عهده أن الإبداع كل الإبداع فى أكثر ما يكتب فى الصحف حينذاك أن الكذب يقدم إليك فى صورة جديدة ، حتى تخدع به ، ويغيب عنك أنه كذب ، وما دام البدء هو الكذب فالمظهر هو الهدم ، لأنه شكل بناء أقيم على جرف هار .

وإذا كان وضع الصحافة هكذا فلابد ان تكون له آثاره ، التي تمثلت فى قتل المعانى السامية فى حياة الناس ، فهم يريدون الصحافة الرخيصة واللغة الرخيصة والقراءة الرخيصة [1] .

---

(١) السابق ١٨٩/٣ .

إن الذباب هنا يخرج من المطبعة لا مـن الطبيعـة . فـأكثر القول فى هذه الجرائد حشرات من الألفاظ ، منها ما يستقذر ، ومـا تنقلب له النفس ، وما فيه العدوى وما فيه الضرر .

ثم يقول : " وكيفما دار الأمر فإن كثيرا من كـلام الصحـف لو مسخه الله غير الحروف المطبعيـة لطـار كلـه ذبابـا علـى وجوه القراء " (١) .

ويعيب الأستاذ الرافعى لغة الصحافة فى أيامـه بأنـها شـبه عامية ، ويرى أن الأمة ابتليت فى عهدها الأخير بحب السـهولة ، ويرجع ذلك إلى سياسة المستعمر ، الذى عطـل طاقـات الأمـة ، وقضى على مقومات الشخصية فيها ، فشبه العامية فى لغة الصحف وفى أخبارها وموضوعاتها إنما هو صورة من سهولة تلك الحيـاة ، لأن الأمة ودعت حياة الخشونة والجد ، وولـت ظـهورها للكفـاح والنضال ، وكأن الذى صنعه محتل تثبيت للضعف والخـور فـى طبيعة الأمة ، ومن المسلم به أن كل شئ يتحول بمـا تحـدث لـه طبيعته عاليا أو نازلا ، فقد تحولت السهولة من شبه العاميـة إلـى نصف العامية فى كتابة أكثر المجلات ، وانتقل ذلك بالعدوى إلى ما يكون من الطلاب فى المدارس من كتابات (٢) .

وما ضاعت اللغة ، وساء استعمالها كتابة ونطقا بين طـلاب المدارس والجامعات وإن شئت فقل بين الخريجين كذلك إلا من آثار

---

(١) وحى القلم ١٨٧/٣ .

(٢) السابق ١٩٨/٣ .

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الصحافة المترنحة التي يشد أزرها في هذه المهمة غير الحميدة الإعلام المهترئ الذي يطرق سمع النشء ويستولى على فكره وعقله ، فيلوى منه اللسان ويفسد فيه الذوق ، وينحرف به عن المسار الصحيح فى نطق الحروف وبناء الكلمات ، واستقامة الأساليب وإن شئت الدليل على ما أقرر فتناول صحيفة وانظر إلى ما بها من موضوعات وقم بعمل إحصاء لما تحوى عليه هذه الموضوعات من أخطاء لغوية ونحوية إلى جانب الأسلوب المبتذل الذى يجفوه الذوق المستقيم .

أما عن الإعلام فعليك أن تلازمه يوما المسموع منه والمرئى وتابع المواد التي تذاع ، وتمعن فى طرق الأداء ، وفى اللغة المستعملة التي نتقف بها الأجيال من المستمعين والمشاهدين ، وما يكون من التظرف فى نطق بعض الحروف فتسمع الصاد سينا ، والضاد دالا ، والقاف كافا ، هذا إلى الإمالة فيما لا يمال ، مما يكون سببا فى فساد الذوق ، وموت الحس اللغوى ، حتى يغدو من يكثر السماع والمشاهدة بليد الشعور ، فاقد التمييز بين الخطأ والصحيح ، دعك من الحديث عن ضبط الكلمات والالتزام بقواعد الإعراب فإن هذا أمر بعيد المنال ، عصى المطلب على كثير ممن يقذفون المستمعين بالحجارة ، ومن يسعدون بتطلعهم المتأنفة جموع المشاهدين .

وكأن من يروجون هذه اللغة المسفة الهابطة التي تجرى على ألسنة السوقة والعوام يقولون لنا : دعونا من عربيتكم الفصحى ،

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

إننا نريد أن نتحرر من التقعر والتكلف والتشدد فى اللغة والأساليب وكأن العربية الفصحى تعنى التقعر والتكلف ، ويحدثنا الأستاذ الرافعى عن الفساد الذى استشرى بفساد الكتابة التي تصدر عن طبائع مختلفة ، فلا يأتى من ورائها إلا الخلل والضياع ، يحدثنا فيقول :

" لا جرم فسد الذوق وفسد الأدب ، وفسدت أشياء كثيرة كانت كلها صالحة ، وجاءت فنون من الكتابة ما هى إلا طبائع كتابها ، تعمل فيمن يقرؤها عمل الطباع الحية فيمن يخالطها ، ولو كان فى قانون الدولة تهمة إفساد الأدب ، أو إفساد اللغة لقبض على كثيرين لا يكتبون إلا صناعة لهو ، ومسلاة فراغ وفسادا وإفسادا " (١) .

وقد رأينا بعض أدعياء الأدب ينحرفون باللغة فى أسلوب ردئ ، واستعمال سقيم وألفاظ سوقية ، فإن ذهبت تنتقد أعمالهم ادعوا عن جهل وقصور ان أساليبهم جديدة ، ولغتهم عصرية ، وألفاظهم مبتكرة ، وزعموا أنهم بذلك يعيدون إلى اللغة شبابها ، ويجددون ما رث من ثيابها ، والحق أن عملهم من قبيل التبديد لا التجديد وأن زعمهم بأن ذلك ابتكار فى اللغة هو فى الحق انحسار لها واندثار .

وما أشبه هؤلاء - المحدثين فى اللغة ، ولا أقول المجددين - بذلك الرجل الأمريكى الذى جاء إلى مصر فأقام واشتغل بالتجارة حتى أثرى وصار من الأغنياء وكان من تلاميذ الدكتور فؤاد صروف ، والتقى هذا الأمريكى بالأستاذ الرافعى ليسأله عن بعض

---

(١) انظر وحى القلم ٢٠٢/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشياء فى اللغة والنحو ، كان قد أعدها ليستفسر عنها ، وفى أولها هذا السؤال :

لماذا يقال : فصح الرجل فصاحة فهو فصيح ، ثم يقال : شعر شعرا فهو شاعر ؟

ألم يكن القياس أن يقال : شعُر شعارة فهو شعير ، والفصاحة والشعر من باب واحد ؟

ويقول الرافعى إنه أنهى الخبر للدكتور صروف وقال له : إن صاحبك هذا يضع قواعد اللغة فى الميزان الذى فى حانوته (١) .

والرافعى رجل يدور مع الحق حيث دار ، لا يمالئ صديقه إن رأى فيه بعض انحراف ولهذا لم يقر الدكتور صروف على ما ذهب إليه من ترك علامات الإعراب ، والتسهيل على القارئ ، والمتكلم ، اقتصادا فى الوقت الذى يضيع ثلثه فى الالتزام بالفصحى .

وجادله الأستاذ الرافعى فى ذلك ، ولج الخلاف معه ، وبين له أنه أغفل أثر العادة فى تيسير أمر الإعراب ، وأن فى اللهجات العامية من الحشو ومد الصوت وفساد التراكيب ما يذهب بأكثر من ثلث الوقت (٢) .

القرآن واللغة :

والأستاذ الرافعى يقرر أن القرآن قد جمع العرب على لغة واحدة ، وباتحاد اللغة تجاوبت المشاعر وائتلفت القلوب ، وتجمعت

---

(١) انظر وحى القلم ٣٣٨/٣ .

(٢) تاريخ آداب العرب ٧٢/٢ .

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمة فيقول : " ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن قد جمع أولئك العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون منها ، ولا يجدون لهم عنها مرغبا ، إذ يرونها كمالا لما فى أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية ، ومما وقفوا على حد الرغبة فيه من مذاهبها ، دون أن يقفوا على سبيل القدرة عليه " (١) .

ثم يبين أن القرآن حفظ العربية من التبديل والتغيير حينما خالط العرب غيرهم من الأجناس ومكنها من الصمود أمام الدخيل من لغات الأعاجم فيقول :

" فقد وضح لك أنه لولا القرآن وأسراره البيانية ، ما اجتمع العرب على لغته ، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذى وقع ولم يكن منه بد ، حتى تنقضى الفطرة وتختبل الطباع ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة "

والأستاذ الرافعى - رحمه الله - يبين لنا تأثير القرآن فى اللغة ، ويحدثنا عن ذلك حديث المؤمن العالم ، الذى أنار الله فكره ، وأفاض عليه القرآن من روحه ، فهدى بذلك إلى الرشد والصواب ، يبين ذلك فيقول : .

" نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا ، فكان اشبه شئ بالنور فى جملة نسقه ، إذ النور جملة واحدة ، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته وهو فى كل جزء من

---

(١) تاريخ آداب العرب ص ٣٤١ .

أجزائه ، وفى أجزائه جملة لا يعارض بشئ إلا إذا خلقت سماء وبدلت الأرض غير الأرض .

والأستاذ الرافعى خبير بفن النحو ، له دراية واسعة بما كتب فيه من مراجع ، وبصير نافذ بمستواها والمفاضلة بينها ، ولذلك رأيناه حينما سأله الأستاذ محمود أبو ريه [١] عن أنفع الكتب فى النحو اختار له " شرح الكافية " للرضى ، باعتباره أمتع الكتب وأوسعها مادة علمية ، وليس فى كتب العربية ما يساويه بحثا وفلسفة ، ثم ينصحه بقرينه فى الصرف وهو كتاب " شرح الرضى على الشافعية " وعليه أن يشتريهما ويضم إليهما " متن التوضيح " لابن هشام وشرحه .

واختيار الرافعى لشرح الكافية يدل على براعة ومقدرة لأن هذا الشرح جمع قواعد النحو وأحاط بأسراره ولم يكن جماعا ، وإنما هو الفيصل لما يعرض من مسائل ، ويأتى بالفكرة مدعومة بالدليل النقلى والنظرى دون تحيز إلى مذهب ، وهو وإن كان بصريا إلا أنه قد يصوب مذهب الكوفيين ، إذا صحت حكمته وظهر له وجه للصواب فيه .

أما عن كتاب " التوضيح " فهو لابن هشام شرح فيه الألفية ، مستكملا ما فتها ، مخطئا ابن مالك فى بعض المسائل ، وهو كتاب يمتاز بالانسجام فى ترتيب المعلومات ، والتنظيم فى ضم القواعد

---

(١) رسائل الرفعى " محمود أبو ريه " ص ١٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتصلة بعضها ببعض ، ولذلك فهو يعد من أمهات كتب النحو التي يحسن الرجوع إليها والاستفادة منها [١] .

ويقول ردا على رسالة [٢] سئل فيها عن استعماله "أودع" متعديا بالحرف فقال: إن ذلك جائز بل هو الأفصح ، لأن التضمين معروف فى اللغة بأن تضمن الفعل معنى فعل آخر فيأخذه حكمه ، وهذا شائع جدا فى اللغة ، وفى القرآن : ﴿ إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى ﴾ [٣] ، فقد ضمن " أحب معنى آثر " ولذلك عداه بعن

ومن ذلك فى القرآن أيضا قول الله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ [٤] أى يخرجون ، وقوله - سبحانه - ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ [٥] أى لا تنووا ، فضمن الفعل بحاله " معنى الفعل " يخرج " وضمن الفعل يعزم " معنى الفعل ، " ينوى " .

ويقول الأستاذ الرافعى فى " التضمين " : " الأفعال يضمن بعضها معانى بعض ، فإذا ضمن فعل معنى آخر استعمل استعماله فيتعدى بعن أو على . . . إلخ فتمتاز على الشمس أى تفضل ، وإنى أستعمل التضمين كثيرا وأتعمده ، لأنه يجمع بلاغتين ، وكان صادق عنبر كلمنى فى ذلك وقال : إن التضمين سماعى ، فقلت له : إن الشواهد الموجودة منه تعد بالآلاف ، وبذلك يخرج عن أن

---

(١) انظر نشأة النحو للأستاذ محمد الطنطاوى ص ٢٤٥ .

(٢) رسائل الرافعى " محمود أبو ريه " ص ٨٧ .

(٣) سورة ص آية : ٣٢ .

(٤) سورة النور آية : ٦٣ .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون سماعيا ويجوز لنا استعماله للتوسع فى اللغة (١) .

والاتجاه بالتضمين إلى أن يكون قياسيا مدخل لانطلاق اللغة من عقالها ، واستجابتها لحاجة المتكلمين بها ، وهو لون من ألوان التوسع فى اللغة ، وأما قصرناه عن السماع فإنه سينتهى باللغة إلى الجمود والانزواء ، ويقعد بأبنائها عن مواصلة البحث والتجديد والاجتهاد اليقظ حتى تظل لغة القرى، طيعة فى الاستعمال مستجيبة لحاجات المتكلمين بها والمنتسبين إليها .

ويرى الأستاذ الرافعى أن استعمال لفظة " العادية " صحيح لأنها منسوبة إلى العادة ، وإن كان قد حذفها فى بعض كتاباته واستعمل مكانها ألفاظا غيرها (٢) ، وهذا لا يقدح فى صحتها ولا ينال من سلامتها .

ومن اجتهاد الرافعى فى اللغة أنه استعمل كلمة " اكتشف " ويرى أنها صحيحة وإن لم يجدها فى المعاجم ، ويعلل ذلك بأن شأننا شأن العرب ما دمنا نضع على طريقتهم ، ونتبع نهجهم ، لأن الكاتب الذى لا يضع فى اللغة جديدا لا قيمة له ، ولا عبرة لمن يأخذ من الحياة ولا يعطى لها (٣) .

ويسأل عن إعراب كلمة " شيئا " فى قول الله تعالى :

﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض

---

(١) رسائل الرافعى ص ١٧٤ .

(٢) انظر السابق نفسه .

(٣) السابق نفسه .

لممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيئا ولا يستطيعون ﴾ (١) .

ويقول : راجع التفاسير فلم ير فيها ما يقنع ، والذى ظهر له أن كلمة " شيئا " فى الآية بدل من كلمة " رزقا " وهذا الإعراب عده المفسرون ضعيفا بعد أن نبهوا إليه ، مع أن فى هذا الإعراب كل القوة ، لأن المراد من الآية أن هؤلاء " يعبدون من الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض " وهنا يعترض هؤلاء أنفسهم بأنهم يعتقدون أن معبوداتهم تملك ذلك وإلا فلم عبدوها ؟ فجاءت كلمة " شيئا " لتبين لهم أن كل ذلك وهم وضلال إذ لا معنى للرزق إلا إذا كان " شيئا " لا وهما فقط ولا شئ ترزقه هذه المعبودات من السماوات والأرض ، فإذا كانت لا ترزق شيئا على الإطلاق ، فهى على الإطلاق ليست شيئا ، ولهذه جاءت جملة " ولا يستطيعون " بضمير الجمع العاقل مع أن أول الآية " ما لا يملك " فدلت الجملة الأخيرة على العابدين والمعبودات ، فهم كالأوهام ، لا هى تستطيع أن ترزق شيئا ، ولا هم يستطيعون أن يجعلوها قادرة على شئ من ذلك .

فكلمة " شيئا " هذه معجزة الآية كلها ، ويستحيل على العقل البشرى أن يجيئ بها فى هذا الموضع ، ولذلك فهى جديرة بأن يسجد لها البلاغيين (٢) .

---

(١) سورة النحل آية : ٧٣ .

(٢) انظر رسائل الرافعى ص ٣٤٤ ، ٢٤٥ .

لممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

تمصير اللغة :

وتمصير اللغة يعد أخطر معركة واجهت اللغة العربية ، وقد حمل لواء هذه الدعوة الدكتور أحمد لطفى السيد عام ١٩١٢ م فى " الجريدة " وكتب أكثر من سبع مقالات فى خلال شهرى : أبريل ومايو وشايعه فى ذلك الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين .

وأحمد لطفى السيد ليس بالرجل الذى يفاجئ قارئه بما يستفزه ويثير مشاعره ولكنه كان دقيقا فى مدخله إلى هذه الدعوة ، فقد تسلل إلى هذا الغرض بطريقة فيها كثير من المداورة والحيلة والذكاء ، فقد بدأها بالحديث عن واقع العربية الفصحى ، وهذا الواقع يتمثل فى أن العربية واسعة فى المعاجم والقواميس ضيقة فى الاستعمال مخصبة فى المعانى والمسميات القديمة ، مجدبة فى المعانى الجديدة والاصطلاحات العلمية ، وقد أصيب بالتخلف والركود لذلك هجرناها فى الحديث إلى لهجة مصرية ولحن غير مغتفر .

وهذا المدخل لا يمارى فيه عاقل ، ويقر كثير من الغيورين على الفصحى ، الذين أحبوها وعشقوها ، وأرادوا لها الاستمرار والبقاء حفاظا على القرآن ، وربطا لحاضر الأمة ومستقبلها بماضيها الثقافى والحضارى .

ويرى الدكتور لطفى أن نستعمل الكلمة العامية والدخيلة فى لغة الكتابة حتى يقرأ الناس ما ينطقون ، فلا تكون هناك فجوة بين

CamScanner لممسوحة ضوئيا بـ

ما يكتب وما ينطق ، لأنه لا يرى سببا لهجر المألوف المشهور إلى ابتكار غيره إلا حب الإغراء مما يؤدى إلى زيادة الأزمة اللغوية حرجا ، وإدخال التعقيد على البيان العربى الموجود بالفعل .

ويأبى إلا أن يحارب التجديد البناء فى اللغة حتى تساير العصر ، وتواكب التقدم العلمى والحضارى ، هذا التجديد المتمثل فى اللجوء إلى النحت من اللغة وعلى موازينها ، يحارب هذا فى خبث ماكر ويقول بأنه كلام طيب ، إلا أننا لو لجأنا إلى ذلك لوقعنا فى عقبات لا يسهل تخطيها ولضاع مجهودنا بعضه فى بناء الكلمات وبعضه لإصلاح الأسلوب العربى ، وبعضه لتعليم الإعراب وضبط أواخر الكلمة وبذلك يضيع الوقت فى الاشتغال باللغة .

ويوجه النصح إلى الكتاب بالتساهل فى قبول المسميات الأوربية وإدخالها فى الكتابة كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة .

ولئن قيل : إن هذا المبدأ يدعو إلى الفوضى فلا باس بالفوضى فى نظرهم إن كانت لازمة لحال التطور وصارفة لنا عن هذا الجمود الذى نحن فيه .

ويرى أنه لا حرج على الكاتب أو المترجم فى استعمال ما شاء من الألفاظ لما يشاء من المعانى ، وكلما توسع الكاتب فى استعمال ألفاظ كثيرة كان ذلك إحياء للغة المفهومة فى المعاجم وإضافة ثروة جديدة على ثروة البيان المصرى [١] .

---

[١] انظر المعارك الأدبية ص ٧٣ – ٧٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونلاحظ أن هم الباحث موجه إلى إثراء البيـان المصـرى لا البيان العربى ، وبهذا تصبح لغة الأمة بين بيان مصرى ، وآخـر سورى أو عراقى أو مغربى . . . . . إلخ .

وقد تناول هذا الموضوع بالرد عليه الأستاذ الرافعى فى مجلـة البيان [١] فقال : إن أصحاب هذا الرأى الذين ينادون بـ " تمصـير اللغة يرون أن الكاتب عليه أن يكتب ما يجد من ألفاظ تجرى علـى ألسنة الناس متخففا من القواعد والضوابط العربية حتـى تتقـارب العربية والعامية ولا ترفع إحداهما فى وجه الأخرى قلما ولا لسانا .

وعلى أن تبيح كل واحدة منها للأخرى حرية الانتفاع بما يشبه حرية التجارة إلا فى المواد المضرة التي يعبر عنها دهاة السياسـة اللغوية بالألفاظ العامية المبتذلة ، والألفاظ العربية الغريبة ، ثـم لا تحفل إحداهما بما تركب الأخرى مما سوى ذلك فستمر العامية على ما هى ، وتذهب بالفصحى على وجهها .

ويرى الأستاذ الرافعى أن : " تمصير اللغـــة لـو تابعناهـا وأعطيناه هذه العامية سعة من نفوسنا وألبسناها ثوب الفصيح لخلطن عملا صالحا وآخر سيئا .

وهذا الرأى إن شاع ، واطمأن فى كل لبلد عربى ، وسرى هذ الداء وهو سطوة العامية فى كل قطر لأدى ذلك إلى فنـاء العربيـ والقضاء عليها ، وكنا نحن العرب أكثر شؤما على لغتنا من الأعدا الذين حاولوا ذلك بكل حيلة ممكنة ، فما استطاعوا .

---

(١) انظر المعارك الأدبية ص ٨٠-٨٢ .

ويرى الأستاذ الرافعى أننا إذا تسامحنا باستعمال المفردات والتراكيب العامية فإن من بعدنا سينقاد لنا ، ثم من بعدهم إلى أجيال بعيدة ، وبامتداد الزمن يوشك أن يأتى يوم " تكون فيه اللغة الفصحى ضربا من اللغات الأثرية فى كتابها الكريم ، لأننا إذا أخذنا فى قاعدة التسامح والترخيص وسار عل ذلك غيرنا ممن يأتى بعدنا ولم يكن عندنا بذلك نكير فإن ذلك يشبه أن يكون كالقاعدة الاستعمارية التي تبتدئ بالتسامح للمستعمر والغزاة فى أخذ الشئ القليل، ثم ينتهى بالتسامح فى كل شئ .

ولا يفهم الأستاذ الرافعى ونحن لا نفهم معه كيف يكون إحياء العربية باستخدام اللغة العامية ؟ وكيف يسوغ لعاقل أن يقول بذلك ، ولغة القرآن تأبى إلا ان تتقيد بها اللهجات الأخرى ، كما نحت من قبل لغات العرب جميعها على ما كان لها من فصاحة ، وردتها إلى لغة واحدة هى لغة قريش ، فكيف نرضى بعد ذلك أن ندخل هذه اللهجات العامية فى العربية الفصحى ، وهذه اللهجات العامية لا تتقيد بشئ ، ولا يحكمها ضابط ولا تخضع لقاعدة ؟ .

وإذا قدر لنا أن نسير على هذا النهج المزعوم ، وحاولنا مذهب الإصلاح العامى فأى لهجة نأخذ؟ وأى لهجة نترك ؟ والأستاذ الرافعى لا يمارى فى وجوب الإصلاح اللغوى ، بل إن كل غيور على العربية لغة القرآن ينشد هذا الإصلاح وينادى به ، ويعمل له بكل طاقاته ، ولذلك رأينا الرجل ينادى بوجوب قيام " مجمع اللغة " يحيطها ويراعاها ، ويقوم على سد حاجاتها فيما يلزمها من مفردات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومصطلحات لأن اللغة كائن حي ينمو بمرور الزمن ، وعلى اللغة أن تخضع لناموس الحياة ، فتجارى منجزات الحضارة ، وتستجيب لعوامل التقدم ، حتى تظل مؤدية لرسالتها ، مستجيبة لحاجة المتكلمين بها فى كل عصر وجيل .

وهذه اللغة بحاجة إلى رجال يعملون ويحسنون إذا عملوا [١] . يعملون فى دأب جاد مبتغين بهذا العمل عناية اللغة التي بها يحفظ دين هذه الأمة استجابة لقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [٢] .

والدعوة إلى العامية تولى كبرها فى أول الأمر ثلاثة من المبشرين هم " سبيتا الألمانى ، وويكلكس ، وبمور الإنجليزيان " وأخرجت إلى الوجود فى بيروت عن طريق مجلة المقتطف التي تبنتها أكبر مؤسسة تبشيرية وهى الكلية السورية الإنجيلية التي تعرف اليوم باسم " الجامعة الأمريكية " .

لقد ظاهر هذه الدعوى اليهودى " يعقوب صنوع " متصنعا الوطنية والدفاع عن الحق ، واتخذ العامية له سبيلا ومنهجا ، وأتبع ذلك بإنشاء المسرح العامى ، وساعد على هذا الاتجاه المدارس الأجنبية التي ظهرت هنا وهناك وعزز ذلك هيمنة الإنجليز التي تحكمت فى مسار الحياة ومصائر الناس ولا سيما التعليم عن طريق

---

(١) انظر المعارك الأدبية ص ٨٢ .

(٢) سورة الحجر آية : ٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبشرين الشين وفدوا إلى البلاد فى ثياب الأساتذة والخبراء وعلى رأسهم " دنلوب " .

ولا ننسى خضوع " مدرسة الحقوق " المباشر للفرنسيين أيام الاحتلال الإنجليزى [١] . كل ذلك قد نال من العربية ومن الفكر الإسلامى ، ومهد الطريق للاجتراء على الفصحى لغة القرآن بدافع الحقد أو العاملة أو الضعف والقصور .

وما إن ظهرت دعوة الزعيم المسلم " مصطفى كامل " مناديا بالوطنية القائمة على الاعتراف بالخلافة الإسلامية ، فاضحا تآمر الإنجليز والفرنسيين على هذه الخلافة حتى ظهرت دعوة " مصر للمصريين " لتعارض المبدأ الذى ينادى بها مصطفى كامل فالانتصار لمصر الفرعونية لتاريخها وآثارها وفراعنتها ولا شئ بعد ذلك ، وكان على رأس المنادين بذلك احمد لطفى السيد [٢] .

ويرى الأستاذ محمود شاكر أن : " أحمد لطفى السيد رجل يتناقض مع نفسه فى كثير من المواقف ، ومن التناقض البين فى فكر الرجل ما نشره فى ٢١ أغسطس ١٩٠٩ م فى " الجريدة " تحت عنوان " فى إنجلترا أيضا " ويذكر فى هذا المقال ما رأى من تمجيد القوم هناك لشاعرهم شكسبير ، وأنهم يحلونه فى قلوبهم منزلة أعلى من منزلة كل ملوكهم الأولين ، قال : " على ذكر شكسبير يرد على خاطرى أن سمعت أنه استعمل من اللغة

---

[١] انظر أباطيل وأسمار للأستاذ محمود شاكر ص ٢٥٦ .

[٢] المرجع السابق ص ٢٥٩-٢٦٢ .

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الإنجليزية عشرين ألف كلمة ، وأن فى بعض أساليبه خفاء على كثير من العامة ، ولكنى لا أصدق أن أحدا سمع أنه رمى بالتقعر بحجة أنه لم يقتصر فى كتاباته على مئات الكلمات التي تكفى فى التعبير عن المقاصد فى اللغة الإنجليزية "

ثم يضرب المثل بما استعمله أبو العلاء المعرى من غريب اللغة ثم يقول : " وأنه على ذلك يستحيل على رجل يذوق طعم الكلام أن يرمى أبا العلاء بالتقعر " .

ثم يقول : " فما بالنا فى بلدنا نجد كل يوم لهذه الكلمة رنينا خبيثا فى الآذان ، بل نراها على سوء استعمالها ، وقبح مدلولها تسيل بسهولة على كثير من الألسن ، كلما صادف بعضهم فى كتب أو على الجراد كلمة يظنها غريبة ، وما هى بالغريبة إلا عنده " .

ثم يقول : " إذا كان شكسبير كما سمعت قد استعمل عشرين ألف كلمة ... فأولى بالعربى أن لا يحد لغته الفسيحة بحدود ما يستعمل منها فى ميدان " باب الخلق " أو فى " سوق الخضار " إن لم يكن التوسع فى الألفاظ والمعانى ، ولا لمنفعة الأدب ولا لخدمة اللغة ، فليكن على الأقل لخدمة القرآن الذى بات الكافة لا يفهمون معنى ألفاظه ، ومن واجبهم أن يفهموه فإنه إنما يتلى ليفهم . . . لا يعلم إلا الله متى نرى شوقيا وحافظا بالعين التي يرى بها الإنجليز شعراءهم ؟ بل متى نحب وطننا ولغتنا وآدابنا ؟

ومتى يكون للحق سلطان على نفوسنا ، حتى لا نتخذ الجد لعبا ولنتعلم حسن الظن وصدق الانتقاد ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم تمض على هذه المقالة أربع سنوات حتى شرع هذا الرجل يضع مشروعا بإبادة العربية ، وطمرها في الكلمات الأجنبية وتحطيم بنائها بالعامية تحطيما كاملا ، بلا رعاية لما ذكر من " التوسع فى الألفاظ والمعانى " ومن " منفعة الآداب " ومن " خدمة اللغة " ومن " خدمة القرآن " .

أين ذهب كل الذى قال ؟ ومن الذى لوى لسانه ؟ ومن أى مصدر جاءته هذه الأفكار المضيئة ؟ [١] .

ويرى الأستاذ الرافعى - رحمه الله - ا، " تمصير اللغة إن كان فيه خير ، فلن يقوم خيره بشره ، وهب أن " تمصير اللغة " قد تم - ولا قدر الله - فما جدوى ذلك على أصحاب هذا الاتجاه ؟ وما فائدته لهذه الأمة ؟ .

لا سبيل لتمصير العربية [٢] ، واعتبار هذه المصرية أصلا لغويا مجمعا عليه إلا بتمصير الدين الإسلامى الذى يقوم على هذه العربية ، فإن بعض ذلك سبب طبيعى إلى بعضه ، فمن كشف لنا عن الوجه الذى يقوم به الدين مصريا وطنيا ، وبصرنا بأسباب ذلك ونتائجه قلنا له : أخطأنا وأصبت ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ﴾ [٣] .

---

[١] أباطيل وأسمار للأستاذ محمود شاكر ص ٢٦٤ .

[٢] المعارك الأدبية للأستاذ أنور الجندى ص ٨٢ .

[٣] سورة هود آية : ١٠٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا هو مصطفى صادق الرافعي - كما عرفناه وعرفه العالم العربي والإسلامي - منافحا عن العربية ، مدافعا عنها ، ذائدا عن حياضها مجليا حقائقها ، مبينا أهميتها في حياة الأمة دينيا وفكريا واجتماعيا حتى تظل هذه الأمة ثابتة الإرادة قوية البناء .

لممسوحه ضوئيا بـ CamScanner